اختيار الموضوع

يحدث في البحث الصفي أن الأستاذ هو الذي يحدد الموضوعات ويوزعها على الطلبة (وقد يدع مجالاً للاختيار والتغيير وقد يصر على رأيه الاول) وهو بعمله هذا يسهل كثيرا من الأمر على الطلبة ويوفر لهم وقتاً وجهداً .

وهذا ممكن و مقبول في المحاولات الأولى من السنوات الأولى . ولكن المعقول أن يختار الطلبة موضوعاتهم بعد عهد المحاولة . وقد يصبح المعقول لازماً - وهو الانفع ـ لاننا نعد الطلبة لعالم أوسع من عالم الكلية ، عالم يطلب منهم فيه اعتماد النفس . وهنا يعلن الاستاذ الى طلبته ان يهيئوا عنوانات موضوعات للبحث الصفي ، وقد يحدد لهم العصر الذي يختارون منه ، ويمنحهم مدة مناسبة يعودون بعدها اليه يحملون مختاراتهم . ويحتاط الأستاذ (ويجب أن يحتاط الطالب كذلك) فيطلب تهيئة اكثر من عنوان واحد . وقد يطلب ثلاثة لانه سيرفض ما لا يصلح أو يقل صلاحه ؛ وقد يضطر ان يرفض كل ما يقدمه هذا الطالب أو ذاك .

عندما يجد طالب نفسه في ظرف يفرض عليه أن يبحث ، يحس- عادة - بحيرة وهو يسعى لاختيار موضوع البحث ، اما لكثرة هذه الموضوعات ، واما لجهله ، واما لغيابها كلها عن ذهنه أو لاضطراب المتوارد منها على خاطره بحيث يضيع ويصعب أن يجد طريقه إلى الصالح منها .

أجل ، ليس اختيار الموضوع سهلاً ، فما كل موضوع موضوعاً ، وانما الامر مقيد بشروط تزيد الموقف حراجة ، وحسبك أن يكون من هذه الشروط :-

1. الدقة والوضوح أي أن يكون محدوداً لا يحتمل الزيادة والنقصان ولا يكتنفه الغموض والابهام ، ليدل الطالب على عقلية نقية ، ولينطلق منطلقا، سليماً من غير تلكؤ ومحاولة وخطأ عارفاً بما يأخذ عالماً بما يدع .

2. الجدة ، ولابد من أن يكون البحث غير مطروق وغير مبتذل لكي يكون للطالب فيه شخصية وليبذل في اعداده جهداً ولئلا يتعود الكسل او السرقة فتفوته الفائدة التي أقرت من أجلها الأبحاث .
3. وفرة المصادر . يجب أن تطمئن الى أن عدد هذه المصادر من الكثرة والقوة بحيث تجهزك بالمادة اللازمة للبحث . ان الموضوع الذي تقل مصادره بشكل مفضوح أو الذي يكون الكلام عليه مسهباً في مصدر واحد أو مصدرين فقط لا يصلح للاختيار ، لان العمل فيه لا يعدو التلخيص ولانه لا يزود الطالب خبرة باستعمال المصادر ، ولا يهيئ له دليلاً على المراجعة والتقصي . إن عنصر الجمع من هنا وهناك من العناصر الأساسية في البحث .
4. مناسبته للمرحلة التي هو عليها . فاذا كان صفياً وقدر له الاستاذ المختص الحجم المناسب بين الى 10 وال 20 صفحة ، حسبنا هذا الحساب وضيقنا الدائرة ، واخترنا موضوعاً محدوداً او جزءاً من موضوع كبير ، أو زاوية من عصر او جانباً من حياة ، بحيث لا يكون مجموع المعلومات المتناثرة في مختلف المصادر كماً كبيراً .
5. يستحسن أن يأخذ الطالب ما هو أقرب إلى نفسه ورغبته و تجربته ليدفعه ذلك إلى العمل والتضحية وليشعره بالمتعة و ليعينه على الفهم والتفهم ، ولكن هذا لا يمنع أن يقبل موضوعاً لا رغبة له فيه ولا علماً له به سابقا . فقد يحس برهبة ازاء هذا النوع من الموضوعات ولكنه ما يكاد يبدأ ويسير حتى ينسجم واياها . وقد تزيده لذة الاكتشاف سعياً واجتهاداً .

*في سبيل اختيار موفق لدراسة موضوع علمي ينصح بتجنب ما يأتي :-

1. الموضوعات التي يشتد حولها الخلاف إذ انها بحاجة الى فحص وتمحيص ، ومن الصعب أن يكون الباحث موضوعياً في الوقت الذي تكون فيه الحقائق والوقائع مختلفة .
2. الموضوعات العلمية المعقدة التي تحتاج الى تقنية عالية ، ذلك بان مثل هذه الموضوعات ستكون صعبة جداً على الباحث المبتدئ .

3. الموضوعات الخاملة التي تبدو خالية من الامتاع الذهني أو الأدبي فإذا كانت المادة مملة وغير مشجعة للباحث ربما ستكون عائقاً من التقدم .
4. الموضوعات التي يصعب العثور على مادتها العلمية ، ذلك ان الباحث في مراحله الاولية يكون منشغلاً في غير البحث أيضاً .
5. الموضوعات الواسعة جداً وذلك لما تشكله على الباحث من عبئ ومعاناة في الالمام بمادته .
6. الموضوعات الضيقة جداً ، بعض الموضوعات قصيرة وضيقة ولا تتحمل لضيقها تأليف رسالة علمية في حدودها .
7. الموضوعات الغامضة ، وذات التصورغير الواضح التي يتبعها غموض في فكرة البحث فلا يعرف الباحث ما الذي يمكن تصنيفه أو ماهو داخل في موضوعه أو ما أو ماهو خارج موضوعه .

*الطريقة العلمية في التوصل الى اختيار موضوع البحث :

1. يستطيع الطالب أن يجد موضوعاً مناسباً باستعادة الماضي واستعراض دراسته السابقة والاستعانة بمطالعاته فيبعثه ذلك على تذكر امر كان قد استوقفه يوما ما ، والظفر بعنوان كان قد استهواه - او يمكن ان يستهويه - لقربه من نفسه وتعلقه باهتمامه .
2. ان يرجع إلى كتاب من المراجع العامة في تاريخ الأدب وما اليه ، وليكن كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) لجرجى زيدان لما فيه من شمول لفنون الأدب واطواره وذكر لأدبائه البارزين وغير البارزين مع نص على المهم من الآثاروالمصادر والمراجع .وكذلك كتاب (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان ، ودائرة المعارف الاسلامية وكتاب (تاريخ الأدب العربي) للدكتور عمر فروخ وما إلى ذلك من مراجع عامة معتمدة تسهل المهمة وتنير أوائل الطريق - ولا تنسَ (أعلام) الزركلي . ولا بأس

بتصفح المصادر القديمة كالاغاني ... واليتيمة .... والوفيات ٠٠٠ ولا بد من جولة في أروقة المكتبات العامة ونظرة في فهارسها .

3. أما الاستعانة بالباحثين والنابهين من الطلاب والاساتذة والادباء ٠٠٠ فيجب ان تؤجل إلى آخر الأمر ولدى العجز التام ، لان اللجوء المبكر اليها دليل ضعف و برهان على كسل واشارة الى انك ستستمر في طريق اعتماد الآخرين في الخطوات التالية ، وهذا يضرك ، ولا يهييء لك التجربة اللازمة والخبرة التي تفيدك في مستقبل القريب والبعيد .

يختار الطالب اكثر من موضوع في اكثر من لون ويقدمها إلى أستاذه ليتفقا على الأنسب . وقد ترفض هذه الموضوعات كلها فيعود الطالب يبحث عن غيرها موسعاً من عالم سعيه السابق . أو أن يفرض عليه الاستاذ موضوعاً لم يمر بباله . ولابد له من أن يقبل كل هذه الأحوال رحب الصدر غير متذمر ، وقد يكسب بالموضوع الذي أرغم عليه فائدة لم يكن ليكسبها في الموضوع الذي اختاره او استسهله .

ان الاستاذ يضطر إلى فرض الموضوع في حالات معينة كأن يكون الموضوع يهمه اذ يتمم به بحثاً قام به هو ، او يكون في شك من مقدرة طالبه ، وشك في ان يكون الطالب نفسه قد اختار موضوعه وهيأ له المادة .

ان تجارب مرة تحمل الاستاذ على سوء الظن . وما على الطالب الا أن يعمل على كسب حسن الظن بالطرائق المناسبة المشروعة .

لقد أصبح صعباً على الطالب أن يختار موضوعاً لدراسة علمية تستغرق كتاباً لكثرة ما انتج الباحثون المعاصرون من دراسات ، ولانتشار الجامعات والرسائل الجامعية ؛ ومع أن عدداً لا بأس به من هذه الرسائل لم يستوف شرائط البحث العلمي ، ان وجودها في اطار جامعة ما يحول دون اعادة بحثها لدى تلك الجامعة - في الاقل - ما لم تمضِ مدة معينة تبلغ في اكثر الأحيان عشر سنين .

كما انك قد تختار موضوعاً لرسالتك في جامعة من الجامعات ثم يظهر انه مسجل أو مبحوث في جامعة أخرى . ومع أن هذا لا يلزمك تغيير الموضوع الا انه

يثبط من الهمة ولاسيما اذا كانت المصادر واحدة أو متقاربة . وكم يكون مناسباً وحسناً لو أن الجامعات تبادلت العلم بالموضوعات قبل اقرارها.

ان كل جامعة تحتفظ بسجل للموضوعات المسجلة فيها ، وهي تنظرفي هذا السجل قبل ان توافق على موضوعك - وقد يكون هذا في مصلحتك وانه يلزمك بالرجوع إلى التسجيل قبل السير في خطوات الاختيار .

*هناك نوع من التقليد خلاصته أن الجامعات لا تقبل موضوعات حديثة أو معاصرة . وقد يكون في وجهة نظرها من الأسباب الموجبة ما يأتي :

1. ان الموضوع المعاصر لما ينضج ويأخذ سمته الكامل ، وليس من اللائق أن تدرس جامعة شيئا قبل تمامه ؛ فقد يكون عابراً يموت سريعاً ، وقد تكون بدايته شيئا و نهايته شيئا يختلف ، وقد ... وقد ...
2. ان المعاصرة يمكن أن تقتضي من التعصب اكثر مما يقتضيه الماضي وبذلك يصعب توفير عنصر الموضوعية . انك في المعاصرة مع فلان ومع الجهة الفلانية تجمع كل ما تستطيع ان تدعم به وجهة نظرك ؟ او انك على فلان وعلى المذهب الفلاني تحشد قواك لتنزله دون حقيقته .
3. ان الطالب في المعاصرة أعلم عادةً من استاذه ، وقد يدس عن علم - أو غير علم - من الأخبار والآراء ما لا حقيقة له على انه استقى الاشياء من منابعها ، وما على استاذه في هذه الحالة الا المجاراة .
4. يقوم البحث على استعمال المصادر ، وليس للمعاصرة من المصادر - بالمعنى المألوف - ما للماضي .
5. تمثل الجامعات - في الغالب - المحافظة والتقليد وقد نشأ البحث أول ما نشأ معتمداً الماضي ، ولم تكن الجامعات لتعترف بالحاضر ، وكثيراً ما سخرت

منه ، حتى اذا أصبح هذا الحاضر ماضياً ووجد ما ينبه عليه ويدعو له، اعترفت به وانصاعت إلى الأمر الواقع .

الا أن هذا التقليد أخذ يتزعزع فقد وجد من الأساتذة من انتصر للحديث والمعاصر أو من جعل البحث فيهما لا يقل أهمية عنه في غيرهما ، فيقول أنصار المعاصرة :

1. ليكن الموضوع المعاصر في بدايته ، ولكننا إذا درسنا البداية ضمنا فصلاً أو فصولا من النهاية . واذا كان عابرا ، فلم لا ندرسه و نعرف صفاته واسباب زواله السريع ؟ ألم ندرس في الماضي أمورا طرأت وعبرت ؟
2. ولم الخوف من التعصب ؟ انه يمكن أن يقع في الماضي كما يمكن ان يقع في الحاضر ، وان الباحث الباحث من استطاع أن يلتزم الحيدة ، والا فما هو بباحث .
3. اما مسألة كون الطالب أعلم من استاذه ... فان الحال نفسها قد تكون في موضوعات قديمة ، فما كل موضوع تدرسه كان الاستاذ قد سبر غوره والف سره ، بل قد تكون القاعدة أن الطالب اعلم من استاذه في الموضوع الذي يؤلف فيه تحت اشرافه كأن للاستاذ الاشراف ، وعلى الطالب العلم بالتفصيلات .

ثم ان الاستاذ يضطر في موضوعات الماضي أن يرجع مع الطالب إلى مصادر لم يكن قد ألم بها، او انه ألم بها الماماً عاماً وعليه الآن أن يتبحر فيها . فلم لا يكلف نفسه مشاركة طالبه في المصادر المعاصرة ولاسيما اذا كان من اساتذة الأدب الحديث في الجامعة .

4.وكما أن للماضي مصادره التقليدية ، يمكن أن تكون للمعاصرة مصادرها التي تنسجم وطبيعتها ، ومن هذه المصادر الجديدة :

أ. الاديب نفسه ، تقرأ آثاره في حياته وتسجل ملاحظاتك عليها وتتصل به تسأله وتناقشه وتأخذ منه المعلومات اللازمة عن حياته ومكونات شخصيته وكذلك تفعل مع أدباء الاتجاه الواحد .. والمذهب الواحد ...

ب. اصدقاء الأديب أو الادباء ، وأقاربه وأقاربهم ... اعداؤه واعداؤهم ... تجمع وتسمع وتناقش ورائدك الحقيقة لانك باحث .

ت. وسائل النشر المعاصرة ، الجرائد والمجلات ، الاذاعة ، التلفزيون ، الأفلام ... الخ . اننا ان لم نستفد من هذه الوسائل في حينها ، صعب علينا الاستفادة منها غدا ...

5. أما المحافظة ، فلسنا مقيدين بظروفها القديمة ، والمفروض ان نكون اكثر تحرراً من قيود لم تثبت صحتها المطلقة .

ومع هذا ، ومع وجاهة المناقشة تبقى الجامعات على موقفها السلبي من المعاصرة ، واذا تساهلت ، تساهلت قليلا فسمحت بشيء من الحديث الذي كاد أن يصبح ماضياً ، وبشيء من المعاصر الذي أخذ سمته ودلف شخصاً أو مذهباً .

ليس البحث في المعاصرة أسهل من البحث في القديم ، ولم نرد بالمناقشة إلى تسهيل البحث وانما أردنا أن نوسع دائرة اختيار الموضوع ونخفف على الطالب الثقل الذي ينوء به .